

كرنفالات الفرحة

حتى لا أنقطع عن الوصل ولا أنبت عن الأصل أثرت بعد عودتي من الخرطوم في مساء الجمعة الماضي والخرطوم تتأهب وتعد زينتها لإستقبال فجر الإستقلال رجعت بعد مشاركتي في "مهرجان تأبين فقيد الأمة والعروبة والأسلام والانسانية جمعاء الراحل المقيم سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان"، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة في قاعة الصداقة في الخرطوم .

وقد كانت لفته انسانية كريمة .. ولمحة دبلوماسية واعدة ونقطة تذكارية خالدة .. أن يؤكد الشعب السوداني وفاءه .. في السراء والضراء .. وعطاءه .. للأخيار والأوفياء .. ويقول بالصوت المسموع مع المتنبى :

إذا أنت اكرمت الكريم ملكته وان أنت اكرمت اللئيم تمردا

وهذه بعض سجاياه .. وأقل عطاياه .. وهى شهادته على العصر .

عدت الى أبوظبى بعد يومين حافلين باللقاءات على كل المستويات وسعدت أن اكتشفت أنني ما غبت عن البال ولا رحلت عن الذاكرة .. وأن الاجيال الجديدة التى تغنى أغاني الحقيبة .. فى إطارها الجديد .. تتذكر الوجوه القديمة بمنظارها المتجدد وكان مصدر سعادتي فى الأصل أن يفصلنى "فلق الصباح" بين أبوظبى والخرطوم .. وكرنفالات الفرحة تدق أبواب السودان .. فرحة العام الجديد .. وفرحة الإستقلال .. وفرحة السلام .. وفرحة مهرجان الخرطوم عاصمة الثقافة العربية .. هذه الباقية من الأفراح .. والحزمة من الأهازيج والبارانوما الثقافية والسياسية والإجتماعية .. قوس قزح يتألق فى سماء الخرطوم .. فأنتى أن لا أراه إلا من خلال الفضائيات .. و رجعت...

وما أحلى الرجوع إليه .. وما أروع الحديث إليه .. الحديث عن السلام.
(إدخلوها بسلام آمنين) .. السلام فى الشكل والمضمون .. الحديث عن الثقافة.
(وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الثقافة فى الحداثة والأصالة.

يقولون فى البدء كانت الكلمة .. ومن الأصل تتبع الثقافة .. ودع ألف زهرة تتفتح والبقاء للأصلح .. وأن توقد شمعة خير من أن تلغى الظلام ..
لقد كان السودان ضلعاً كبيراً فى مثلث الدبلوماسية العالمية .. العربية والاسلامية والافريقية .. وما زال حبل السر الذى يربط مشيمة الفكر الاسلامى عبر اللسان العربى .. والجذور الأفريقية..
فاختيار الخرطوم .. رمزا للسودان .. ودلالة التعريف بجغرافية المنطقة وحدود القطر .. وليس هوية الشعب أو أصول الثقافة فقط وكان يمكن أن تكون أى مدينة أخرى تحمل المضمون السياسى الذى امتلأ به ماعون الشاربيين من هذا النبع الثرى ..

ودع كل الثقافات .. تتجمع .. وتتحدث بألف لهجة .. ومليون لسان هى المساحة الجغرافية لذلك القطر القارة .. من خلال ذلك الإختلاف فى التنوع وهذا التميز فى الألسنة. دع العالم يحدد هوية المنطقة .. عربية أم افريقية أم الاتنين معا .. وما أجمل الخيارات .. إن السودان حضن كل الثقافات .. ومنبع كثير من الحضارات ولا يضيره أن يكون الإكتشاف فى الخرطوم أو خارجها .. والإعلان عن الأولى أو الأخيرة من الثقافات فى النهاية

لابد للرائي .. والسامع .. والمتلقي ان يخرج من حواراته الداخلية وجولاته الميدانية بالإنطباع المقنع .. عن هوية البلد المضيف ..

وليست القضية هي تأكيد هوية .. أو امتحان نوايا .. والا فهناك عواصم عربية فقط .. وأخرى أفريقية فقط وهناك اسلامية فقط .. خياراتها محسومة .. وهواياتها معلومة .. ولكننا نسيج وحدنا في هذا الإرث الفكري الفريد .

ولكن دع الخرطوم تحتضن كل الناس .. طوال هذا العام ليقولوا في النهاية كلمة الختام .. ونحن لا نبحث عن هوية .. ولكننا نفخر بتعدد الأعراق .. والثقافات .. فليكن في هذا اللقاء .. الفريد استصحابا لروح الاستقلال من عبودية المستعمر .. وربما ديماجوجية التفكير في التعاطي وحب التعايش السلمي بين كل الثقافات والأعراق .. والأديان .

والمجد للوطن الذي يفتح ذراعية لإستقبال العائدين من كل بقاع العالم يبحثون عن شئ جديد .. كنز دفين مخبوء في أعماق هذه الأرض الطيبة .

وكل عام وإنتم بخير

الدكتور الزين عباس عمارة - أبوظبي